[1]تطهير الهيكل – الخيانة

يوم أحد الشـعانين، أحد السعف، سبقته معجزة عظيمة جدًا، وهي إقامة لعازر من الموت بعد أربعة أيام في القبر (يو11: 17). وبسبب هذه المعجزة آمن كثير من اليهود، أما رؤساء الكهنة والفريسيون "فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه" (يو11: 45- 53).

عامة الشعب كانوا معه. ولكن قادتهم كانوا ضده!

قال هؤلاء القادة بعضـهم لبعض "انظروا، إنكم لا تنفعون شـيئًا، هوذا العالم قد ذهب وراءه" (يو12: 19). أتعبتهم محبة الذات التي فيهم، فنظروا إلى المسـيح كمنـافس لهـم وكرهـوه. قـادتهم الذاتيـة إلى الغيرة والحسـد، ثم إلى التـآمر، وزادت غيرتهم ممـا رأوه من التفـاف الشعب حوله يوم أحد الشعانين.

أحد الشعانين

ذهب السـيد المسـيح إلى أورشـليم، واستقبلوه هناك كملك. "وكان الشعب كله متعلقًا به" (لو19: 48). وقـد "آمن به كثيرون" (يو12: 10). فرش الناس ثيابهم في الطريق، ورفعوا سعف النخل. وكانوا يهتفون له قائلين "أوصنا لابن داود. مبارك الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي" "مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب" (مت21: 9)، (مر11: 10) "وارتجت المدينة كلها". وارتجت معها قلوب رؤساء اليهود حسدًا وخوفًا.

في الحقيقة إن المناداة بالمسيح ملكًا، لها شواهد في الكتاب:

+ في بشـارة الملاـك بميلاـده، قـال الملاـك جبرائيـل للقديسـة العـذراء عنه: "... يعطيه الرب الإله كرسـي داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية" (لو1: 32، 33).

+ ولعل هذا تحقيق لنبوءة دانيال النبي عنه، إذ قال "سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول. وملكوته ما لن ينقرض" (دا7: 14).

+ وفي مجيء المجوس، سألوا عنه قائلين "أين هو المولود ملك اليهود..." (مت2: 2). وبين هداياهم قدموا له ذهبًا، رمزًا لملكه.

+ وعلى صليبه "جعلوا فوق رأسه علته مكتوبة: هذا هو يسوع ملك اليهود" (مت27: 37). وقد سأله بيلاطس أثناء محاكمته قائلًا "أأنت ملك اليهود" فأجابه الرب قائلًا "أنت قلت" (مت27: 11).

+ وقـد ورد عنه في المزمور "عرشك (كرسـيك) يا الله إلى دهر الدهور. قضـيب اسـتقامة هو قضـيب ملكك" (مز45: 6). وقد استشـهد القديس بولس الرسول بهذه الآية من المزمور في إثبات تفوق المسيح على الملائكة (عب1: 8).

+ ونحن نرتل هـذه الآيـة من المزمور (مز45: 6) يوم الجمعـة العظيمـة في لحن (بيك إثرونوس). كما أننا نـدعو المسـيح ملكًا في لحن (إبؤورو) أي "يا ملك السلام، أعطنا سلامك". وفي مقدمة قراءة الإنجيل في طقوسنا نقول عنه "سيدنا وملكنا".

+ واللص اليمين على الصليب، اعترف بملكوته، وقال له "اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك" (لو23: 42).

+ وسفر الرؤيا دعاه مرتين "ملك الملوك ورب الأرباب" (رؤ19: 16) (رؤ17: 14).

+ وفي المزامير الخاصة بصلبه وموته، نقول "الرب ملك على خشبة" (مز96: 10). وتتكرر عبارة "الرب قد ملك" (مز97: 1) (مز99: 1).

+ وفي حـديث السـيد المسـيح عـن مجيئـه الثـاني، قـال إنـه "يرسـل ملاـئكته فيجمعـون مـن ملكـوته جميـع المعـاثر وفـاعلي الإـثم، ويطرحونهم في أتون النار" (مت13: 41، 42).

السيد المسيح له ملك روحي، يملك به على القلوب، وله ملك سماوي أبدي. وملك مع الآب بحكم طبيعته الإلهية.

وهو يملك علينا أيضًا، إذ اشترانا بدمه (رؤ5: 9).

غير أن اليهود لم يفهموا الملـك الروحي، وأرادوا أن يكون المسـيح أو المسـيا الآـتي ملكًا دنيويًا يخلصـهم من حكم الرومان، لا من حكم الشيطان!

كان المسيح يريد القلب، واليهود يريدون العرش.

لـذلك رفضوه لأنه لا يحقق أغراضهم الدنيوية. وأسبوع الآلام يجسم هذه الحقيقة "المسيح المرفوض". وكما قال عنهم في المزمور "يبغضونني بلا سبب" (مز35: 19). على أن رفضهم له لم يضره بل أضرهم...

أما نحن ففي أحد الشعانين نستقبل المسيح ملكًا لنا.

نفتح له قلوبنا ليملك عليها. ونقدم له إرادتنا أيضًا لتخضع تحت ملكه. بل على كل واحد أن يسأل نفسه في هذا اليوم "هل يوجد فيَّ شيء لم يملكه الرب بعد؟!". إن كان كذلك، فلنحاول أن نصحح مساره، أو لنقدمه إلى الرب لكي يطهره، كما طهر الهيكل في ذلك اليوم.

تطهير الهيكل

المسيح الملك مارس سلطانه الروحي، بتطهير الهيكل. فعل ذلك بكل قوة، ولم يستطع أحد أن يتصدى له أو يمنعه "اخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون في الهيكل"، "وقلب موائد الصيارفة، وكراسي باعة الحمام". ووبخ الناس بشدة قائلًا "مكتوب بيتي بيت الصلاة يُدعى، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (مت21: 12، 13). "ولم يدع أحدًا يجتاز في الهيكل بمتاع" (مز11: 16).

بهذا الحزم وهذه القوة، تصرف المسيح الوديع المتواضع القلب (مت11: 29)، الذي قيل عنه إنه كان "لا يخاصم ولا يصيح، ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ" (مت12: 19، 20). ولكن "لكل شيء تحت السموات وقت" (جا3: 1). كل موقف له ما يناسبه. فعلى الرغم من وداعته وتواضعه، فإنه يكون حازمًا إذا لزم الأمر. وفي ذلك اليوم كان الرب حازمًا، بأسلوب لم يتعودوه منه من قبل. وكان حزمًا ممزوجًا بالتعليم، إذ قال لهم "مكتوب بيتي بيت الصلاة يُدعى" فذكرهم بالمكتوب، ونفّذه أمامهم عمليًا.

إنه درس لنا في الحفاظ على هيبة بيت الله وقدسيته. وحسن أن الرب قدم لنا في ذلك قدوة ومثالًا في الغيرة المقدسة. ولذلك قيل بعد تطهيره للهيكل "فتذكر تلاميذه أنه مكتوب: غيرة بيتك أكلتني" (يو2: 17).

أولئك المخطئون في الهيكل، صبر الرب عليهم زمانًا بكل هدوء.

ولما لم ينصلحوا بالهدوء، استخدم معهم الشدة.

في إصلاح أي إنسان، الرب مستعد أن يستخدم الكلمة الطيبة، كما أنه مستعد أيضًا أن يستخدم السوط، ولو للتخويف وليس للضرب. الأمران ممكنان. فبأيهما تريد أن ينصلح حالك؟

كالطبيب يمكن أن يستخدم الأدوية. فإن لم تنفع، يستخدم المشرط.

والسيد المسيح لم يقم فقط بتطهير الهيكل، وإنما أيضًا:

أنذر بخراب ذلك الهيكل، وبخراب أورشليم (لو19: 43، 44).

قال إن الهيكل سوف لا يبقى فيه حجر على حجر (مت24: 1، 2)، وقال أيضًا "هوذا بيتكم سيترك لكم خرابًا" (مت23: 38).

أما أنت أيها المبارك، فإن سمعت في أسبوع الآلام أن السيد المسيح قد طهر الهيكل، وقد أنذر بخرابه، أصرخ حينئذ وقل:

تعال يا رب في قوة، وطهر هيكلي أنا أيضًا.

نعم، ألسنا نحن أيضًا هياكل لله، وروح الله يسكن فينا (1كو3: 16)؟ فطهر يا رب هياكلنا، اقلب ما فيها من موائد الصيارفة، ولا تدع فيها رغبات وشهوات لا توافق مشيئتك... انضح عليَّ بزوفاك فأطهر، وحينئذ أنشد معك "بيتي بيت الصلاة يُدعى".

طهر يا رب هذا الهيكل بسرعة، قبل أن يخرب الهيكل.

التمهيد لقيادات جديدة

لم يكتف السيد المسيح بتطهير الهيكل من الباعة والصيارفة، إنما عمل أيضًا على تطهيره من القيادات المنحرفة، لأنه قد عين قيادات جديدة بدلًا منها.

أراد أن يقضي على تلك القيادات التي أغلقت ملكوت الله قدام الناس، فلا هي دخلت، ولا جعلت الداخلين يدخلون (مت23: 13). تلك القيادات التي تعاهدت أن كل من يعترف بالمسيح، تخرجه من المجمع (يو9: 22).

وهكذا ضرب للكهنة مثل الكرامين الأردياء، وقال لهم: "إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل أثماره" (مت21: 43).

ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون، عرفوا أنه يتكلم عنهم (مت21: 45).

كذلك وبخ الكتبة والفريسيين بقوله لهم "أيها القادة العميان" (مت23)، كذلك أبكم الصدوقيين والناموسيين "فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة، ولم يجسر أحد أن يسأله البتة" (مت22: 45، 46).

إنها ثورة أشعلها المسيح قبيل صلبه ضد تلك "القبور المبيضة من خارج، وفي داخلها عظام نتنة" (مت23: 27).

ومنع أن يُدعى أحد تلك القيادات أبًا، أو معلمًا، أو سيدًا (مت23: 8- 10). وغيّر الكهنوت اليهودي إلى كهنوت ملكي صادق مشبه بابن الله (عب7: 3). كان يعد الجو لتلاميذه.

لم يترك حركة التطهير لتلاميذه وحدهم، بل قادها بنفسه.

ربما يكون أمرًا صعبًا عليهم هم إن بدأوه. فابتدأ الرب، وتآمرت القيادات اليهودية ضده، فلم يبال بهم، لأنه جاء راعيًا يبذل نفسه عن الخراف (يو10: 11).

وهكذا احتمل التآمر والخيانة، من الخارج ومن الداخل.

وانتهى كل ذلك بمحاكمته وإهانته وصلبه... أما نحن فنقول له وسط كل التآمر عليه: نحن نعلم يا رب من أنت، أنت الذي "لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين. يا عمانوئيل إلهنا وملكنا". ونظل نردد هذه التسبحة طوال ساعات أسبوع الآلام.

---

1. مقال لقداسة البابا شنوده الثالث نشر في جريدة وطني بتاريخ 23-4-2000م